# ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1069 - الجمعة 1 ربيع الثاني 1425 هـ - الموافق 21 ماي 2004


بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

صلة الرحم

## الإسلام دين التواصل والسلم والمحبة

لا تجد أمة بلغت ما تهدف إليه بدون العلم والعمل والتماسك فيما بينها بأساليب مدروسة وعمل بناء ومراقبة كاملة لجميع مناحي حياة الفرد والجماعة. وذلك ما يسعى الإسلام في دعوته الرحمانية الإنسانية لتطبيقه في جميع مظاهره.

ولكي ينهض المجتمع الإسلامي في جو مريح بعيد عما يعكر صفو الحياة على أفراده يريد منا ديننا أن نشيع المحبة في الله بيننا ونزيد من الألفة يقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: (وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في).

ومحبة الله ورضاه هما الغاية القصوى التي يسعى إلى إدراكها المؤمن فإذا أدركها نال مبتغاه. قال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا.. ولا تؤمنوا حتى تحابوا..). فلا يمكن لأمة أن تسلك طريقا توصلها إلى مقام الرقي وقمة الكمال إلا بتضافر الجهد من شرائح مجتمعها لتبلغ ما بلغه المتقدمون من الأمم والشعوب في تذليل صعاب الطبيعة بالخلق والإبداع وعدم إضاعة الوقت. ويمكن لنا أن نصل ذلك التقدم بسهولة تامة بمحافظتنا على التربية الإسلامية مع تمسكنا نحن المسلمين بقيمنا التي تنشر المحبة وتوطد الأخوة الصادقة مظهرا ومخبرا.

فلنكرس الجهد أولا وقبل كل شيء لتعميق المحبة فيما بيننا وليخبر كل منا أخاه بمحبته إياه تطبيقا لما يأمر به الحديث النبوي الشريف: (إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه).

والسر في هذا الإخبار ظاهر وحكمته بارزة. ذلك أن الإسلام بنى معاملته على الوضوح والصفاء وعدم الخلفيات وذلك سر نجاح دولة الإسلام إبان ظهورها. فكانت متماسكة لا تترك للغير أن يحدث خللا بين قادتها وشعوبها. ففي الأثر عنه صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله). ويقول صلى الله عليه وسلم: (إنك إن تتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت...).

فلنحافظ على أعراضنا ولننشر بشتى وسائلنا المقروءة والمسموعة والمنظورة ما يعمق المحبة في دول الإسلام شعوبا وقادة لأننا أحوج ما نحتاجه هو التآلف والتوادد.

فكفى من فتح الباب لمن يريد إضعافنا بتفرقتنا وتباعدنا وتقاطعنا. فالعدو أعطته تجربته المدسوسة أنه لا يصل مبتغاه من تضعيفنا واحتلال نفوسنا إلا بنشر التفرقة وزرع النزاع بين الإخوة والأمة والواحدة. ولقد حذرنا الإسلام من ذلك في قوله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).

إذن فلنتعاون على البر والتقوى ويأخذ منا القوي بيد الضعيف قال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده لأن أمشي في حاجة أخ لي حتى تقضى أحب إلي من أن أعتكف في مسجدي هذا الشهر).

فالإسلام تعاون وتضامن وتعايش مع الآخرين في جو من حرية الرأي وحرية الفكر وتعميق تشريف الإنسان ومراعاة حقوقه ومعاملته بالتي هي أحسن. وذلك ما ترمي إليه هذه الدعوة الإسلامية التي لا إرهاب فيها ولا عنف ولا إكراه. عندما أغلظ أعرابي القول على الرسول صلى الله عليه وسلم بما لا يليق لم يرض ذلك الصحابة الكرام وامتعظ من تصرف ذلك المتجني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلما لاحظ الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك من عمر فماذا قال عليه الصلاة والسلام لعمر؟ قال له متبسما صلى الله عليه وسلم: (دعه يا عمر فإن لصاحب الحق مقالا). إنها الحرية والديموقراطية في أسمى معانيها. ونراه عليه الصلاة والسلام في مشهد آخر واقفا يخطب في أصحابه قائلا لهم وموجها ومربيا ما يلي: (ألا لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه). ويقول عليه الصلاة والسلام مذكرا أمته في مناسبة أخرى: (لا يكونن أحدكم إمعة يقول إذا أحسن الناس أحسنت وإذا أساءوا أسأت ولكن ليوطئن أحدكم نفسه إذا أحسن الناس أن يحسن وإذا أساءوا أن يجتنب إساءتهم).

هكذا رسم الطريق المستقيم الواضح لمن أراد الله به خيرا أن يسلكه، فإن نحن أخذنا بتوجيهاته صلى الله عليه وسلم وجعلناها نصب أعيننا فسنقنع العالم أجمع أننا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حسب ما يدعو له ديننا الإسلامي دين التواصل والسلم والمحبة وحب الخير للإنسانية بصفة عامة. قال تعالى: "وقولوا للناس حسنا". وقال: "وقولوا قولا سديدا". ويقول صلى الله عليه وسلم محذرا من لغو الكلام وفاسده: (وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم).

فلنوطن أنفسنا على إشاعة الخير بين بني الإنسانية. ولتواصل دعوتنا بالكلمة الطيبة الموزونة المتبصرة لنشر السلم والسلام بين الناس عامة. فأجزل معاني العطاء النافع يكمن في الكلمة الطيبة.

وفقنا الله لما يرضيه إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

## وجه فضل القرآن على الأحاديث القدسية

## الأخلاق الإسلامية في المدارس العتيقة

## إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق

## العدل والعدالة في التوجيه الديني

## العدل القضائي في الإسلام

-10-

في هذا الركن من صحيفة ميثاق الرابطة رأينا صورا مشرقة من العدل والعدالة في الإسلام، والتوجيه الديني للتربية على احترام الحقوق والالتزامات في المجتمع الإسلامي الجديد بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعدل الناس في الأرض على الإطلاق، ولما بدأت الجهات والأقاليم تدخل إلى الإسلام عين رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة ليقوموا بمهمة الفصل في الخصومات التي تحدث بين الناس، وجاء بعده الخليفة الأول سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فسار على نفس المنهج لولا أن حروب الردة شغلته بعض الشيء، وقصر مدة خلافته رضي الله التي لم تتجاوز السنتين إلا بشهور قليلة.

ثم أخذ السلطة العامة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعيين من سلفه الخليفة الأول حسب العهد الرسمي الذي أصدره الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه قرئ على الناس وهذا نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يومن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب أني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسلموا له وأطيعوا وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيرا، فإن عدل فذلك ظني به. وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرء ما اكتسب من الإثم، والخير أردت ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب يتقلبون والسلام عليكم ورحمة الله"

وبعد قراءة هذا البيان على المسلمين بالمدينة دعا أبو بكر عمر رضي الله عنهما في جلسة خاصة وأوصاه بما أراد أن يبلغه إليه سرا من أمور المسلمين، ولما خرج عمر من بيت أبي بكر الصديق استقبل هذا الأخير القبلة ودعا الله تعالى قائلا: اللهم إني لم أرد بذلك إلاصلاحهم، وخفت عليهم الفتنة. فعملت فيهم بما أنت أعلم به. واجتهدت لهم رأي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على مارشدهم. وقد حضرني في أمرك ماحضر (الموت) فاخلفني فيهم، فهم عبادكم ونواصيهم بيدك أصلح لهم وإليهم واجعله من خلفائك الراشدين منبع هدى في الرحمة وهدى الصالحين بعد وأصلح له رعيته"(انظر طبقات ابن سعد) . دخل عمر بن الخطاب الإسلام استجابة لدعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعدد المسلمين بمكة لايتجاوز أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة. كما في الاستيعاب لابن عبد البر. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو "اللهم أعز الإسلام باحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل، أو بعمر بعد الخطاب" كما رواه الترمذي.

وروي عن ابن مسعود أنه قال "مازلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب" وقال: ابن مسعود في خطاب آخر "إن إسلام عمر كان فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا مانصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه" وروي عن صهيب الرومي أنه قال "لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض مايأتي به" هذا هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله القرشية المخزومية، كان من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان واحدا من العشرة المبشرين بالجنة، وأبا لإحدى أمهات المومنين حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجا لإحدى حفيدات رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدتنا أم كلثوم بنت الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء شمس نساء الأرض.

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "لو وضع علم أحياء العرب في كفة ميزان، ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر".

وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه".

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

### ارتسامات عن ندوة الحركة الوطنية والمقاومة بإقليم شفشاون

# بطل نموذجي للمقاومة المسلحة ضد الاستعمار الاسباني بمنطقة شفشاون

إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ إن المقاوم المجاهد أحمد العمراني من مدشر بوحلا، كان رحمه الله، متين البنية، ليس بالطويل ولا بالقصير، بياضه مشرب بسمرة، حاد النظرات يجلل رأسه شعر أسود، وجنتاه محمرتان، تحيط بهما لحية سوداء، ترى فيه كل ملامح البطولة والشجاعة، درب نفسه على حمل السلاح منذ نعومة أظفاره، كان عند ماينتهي من حفظ لوحه القرآني يخرج للغابة مع بعض رفاقه ليتدرب على الرماية، وكان يقضي أوقات فراغه في ذلك، ويزاول أعماله الفلاحية كغيره من رجال ونساء القرية.

كان صوت المؤذن لصلاة المغرب بالمسجد الكبير بمدشر (بوحلا) يحفزه على العودة لحضور الصلاة وقراءة الحزب. اشتد عوده، وقويت عضلاته، وفي أول معركة خاضها مع الشريف الريسوني ضد الاحتلال الإسباني اعترف له الجميع من أبناء عمومته ومدشره بالشجاعة والدقة في الرماية وإصابة الهدف، وتوالت المعارك بعد ذلك مع رجال محمد بن عبد الكريم الخطابي، ولبطولته وشجاعته لقب (بالدنفيل) وجعلته براعته القتالية يقتحم جيش العدو في بطولة نادرة، وأسلوب حربي يدهش الجميع، وبذلك أصبح اسم (أحمد الدنفيل) على كل لسان بمدشر بوحلا وبقبائل الأخماس كلها، وكان يرافقه في المعارك التي خاضها ابن عمه السيد المفضل العمراني، الذي ظل معجبا به، ينقل أخباره كلما واتته الفرصة، وكانت هذه المعارك متتالية وحامية الوطيس، لأن القيادة العليا للجيش الاسباني أصرت على احتلال منطقة شفشاون الجبلية مهما كان الثمن، وبالمقابل أصر المجاهدون على المقاومة إلى آخر رمق من حياتهم، لكن إصرار البطل المغوار أحمد الدنفيل لا يضارعه إصرار.

بعد موت الشريف مولاي أحمد الريسوني، وخمود مقاومة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة :1926م استسلم الكثير للأمر الواقع، لكن أحمد الدنفيل نوع آخر من الأبطال الذين لايستسلمون مهما كانت الظروف، لاتلين لهم عريكة، (الدنفيل) لم يدر بخلده في يوم من الأيام أن يقبل حكم الأجنبي الدخيل، لاترهبه قوة الاسبان، ولاكثرة جيوشهم، وتعدد قلاعهم وحصونهم العسكرية في شفشاون وأكراط، وباب تازة وتنقوب، وهنا وهناك، بل صمم الدنفيل على مهاجمة هذه القلاع العسكرية في جماعة قليلة من رفقائه، وأصبحت عملياته الفدائية تزعج الجيش الإسباني وقائده ( الكباص)، والرجل من قبل كان قد اعتاد على تنفيذ خططه الحربية الخطيرة، وله بصر نافذ في اختيار رجاله الأبطال الأشداء، وكان من أساليبه القتالية أنه يقتحم بنفسه ورجاله وسط المعركة ويقول: الحرب لاتكون من الأطراف بل يجب الدخول وسط المعمعة، ومن حيله العجيبة أنه كان يترقب انشغال العدو مع الجهات الجانبية التي يبعث من يثير بها مناوشات، وبعد ذلك يتسرب هو وجماعته إلى وسط المعركة، فكانت عملياته المفاجئة تحدث ارتباكا في صفوف العدو، ويسقط عدد كبير من القتلى، يعتمد في ذلك على السرعة والمباغتة القوية الحاسمة، اشتهر بذلك، واعترف له الجميع بالبطولة النادرة، والشجاعة المثالية، وعرف ذلك كبار ضباط الجيش الاسباني الذين كانوا يحقدون عليه أشد ما يكون الحقد.

وها هو اليوم أصبح يهاجم قلاعهم وحده، ويحدث لهم ارتباكا وفزعا... واستمر في ذلك من سنة:1926-1930.

وقد أغرى (الكباص) الطامعين، وجعل لمن يأتي به حيا أو ميتا قدرا كبيرا من المال، ومنصب (القيادة)وو....

كان الدنفيل في هذه الأثناء يعتصم بالجبال، ويأوي إلى الكهوف، لاتفارقه بندقيته وعدته الحربية، ومن حين لآخر يفاجئ حصون الجيش الاسباني تارة هنا، وتارة هناك، الشيء الذي أقلق الاسبان، ووتر أعصابهم... زود الكباص من يأتي به، أو يقتله، بالسلاح، والمخدرات، وأنواع السموم، وأخذ يبحث في الناس من يستطيع الاحتيال في القبض عليه، واستدعى رجال (بوحلا) وأخذ يمتحنهم واحدا واحدا، وزج بهم في السجن، وأصبح أعوانه يجلدونهم بالسياط المبرحة، حيث ضرب أحدهم. عبد الله الثور. ابن أخت الدنفيل بألف ومائتين من السياط، ولم ينبس هذا الرجل ببنت شفة، وتساقط لحمه من جراء ذلك!! وكان جلد الآخرين قاسيا جدا، ودون هوادة ولاتوقف... وأصبح السؤال الملح الذي يشغل بال الجلادين ورئيسهم الكباص: من أين يحصل الدنفيل على القوت؟ومن يلتقي به؟ومن يعوله؟ وأين يأوي أيام الشتاء والبرد والثلوج؟إلى غير ذلك من الأسئلة التي حيرت عقول الجلادين بالجيش الاسباني بمنطقة شفشاون، وأخيرا عثر أعوان الكباص على شخص من أسرة زوجة الدنفيل، تلك الزوجة التي كان قد هجرها الدنفيل، لأنها رقصت في حفل زفاف ببني خالد، بمحضر المدعوين، وأمام الخاص والعام، وكانت تجيد الرقص فنالت إعجاب الجميع، وتحدث عنها الناس، وعن هذا الحفل، وعن روعة رقصها، وكان ذلك سببا في لومها وتوبيخها وهجرها، اغتنم دهاء المستعمرين هذه الحادثة. وأغروا صهر الدنفيل الذي استعان بحراثه الأغزاوي الشديد البنية، وكان الدنفيل يأوي من حين لآخر إلى دار عمته، التي تقع في نهاية المدشر (بوحلا) يأوي إليها في جنح الظلام، فتطعمه، وتزوده بما تستطيع، اغتنم الصهر الحاقد سذاجة هذه المرأة، وأقنعها بأنه يريد مقابلة الدنفيل في موضوع هام جدا، وعلم من المرأة العمة الحنون موعد زيارته وفي الليل الموعودة قدم صحبة حراثه، وفي منتصف الليل جاء الدنفيل، فأظهر له صهره المودة، وأنه يقدر عمله وشجاعته... وطلب من العمة المسكينة أن تحضر أواني الشاي، وأخذ يتجاذب أطراف الحديث مع الدنفيل، وفي خفة بارعة وضع الحراث المخدر القوي في البراد، وهذا المخدر من الوسائل التي زود بها الكباص من يقبض على الدنفيل، وما هي إلا لحظات حتى مال الدنفيل على جنبه متأثرا بمفعول المخدر القوي وكانت إحدى السيدات بالبيت فأرغمت على أن تقترب منه لتنزع منه سلاحه، خشية أن يكون هو مازال يحتفظ بشيء من وعيه، ففعلت وابتعدت عنه البندقية، وهنا تأكد الصهر والحراث بأن المخدر أدى مفعوله، فأوعز الصهر لحراثه بأن يضربه على رأسه بالشاقور ضربة قوية، حاول الدنفيل المغدور أن يقاوم وهو مضروب ومخدر، فاستل خنجره، وضرب به في اتجاه الحراث، فابتعد الحراث بسرعة واعوج الخنجر لاصطدامه بالجدار، وقوة الطعنة.

وكان ذلك آخر حركة تصدر عن هذا البطل الذي دوخ وحده الاستعمار الاسباني بناحية شفشاون لمدة تزيد عن أربع سنين لقد تضافرت على اغتياله الخيانة والغدر، فمات شهيدا وذاع خبر اغتياله في بوحلا وشفشاون، ونزل على الناس نزول الصاعقة.

وبطلنا الشهم يصدق فيه قول الشاعر:

"فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت أخمصك الحشر
تردى ثياب الموت حمرا فما أتى
لها الليل إلا وهي سندس خضر

وكان من قوم قال فيهم شاعر آخر:

يستعذبون مناياهم كأنهم
لايخرجون من الدنيا إذا قتلوا

والحقيقة أن من خلف وراءه هذا الذكر العطر لم يخرج من الدنيا، وكأن القائل يعنيه بقوله:

لئن عرف الجهاد بكل عام
فإنك طول دهرك في جهاد
كأنك للحروب رضيع ثدي
غذتك بكل داهية ناد

هذه قصة بطل مغوار، آثرت أن أنقلها إليكم في هذه الندوة عن المقاومة، وكم لها من نظائر بإقليم شفشاون كقصة (الكاطبي) وغيره ممن استماتوا في الدفاع عن وطنهم، لايبالون على أي جنب في سبيل الله يكون مصرعهم.

رحم الله الشريف البطل أحمد العمراني رحمة واسعة، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

(تتمة ص:1)

هذا بعض مانتبته عن سيدنا عمربن الخطاب الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أحدث تطورا في تاريخ السلطة الإسلامية بقي مسجلا في صحيفته وتبعه من جاء بعده، إن تحولات كبيرة وتغييرات كثيرة أدخلها الخليفة عمر بن الخطاب على الحياة الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية.

فكان أول من أدخل نظام الدواوين في الإسلام لتسيير الشؤون الإدارية وفرض مرتبات للولاة والعمال، ومعاشا ماليا لقادة الغزوات الإسلامية وعلى رأسهم أصحاب غزوة بدر، وفرض الضريبة على أصحاب الأراضي الفلاحية وفرض الجزية على أهل الذمة مقابل إعفائهم من الخدمات العسكرية وضمن لفقيرهم معاشا مناسبا يغنيه عن السؤال.

وحساب التاريخ الهجري وبدايته من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة يعود إلى اجتهاده رضي الله عنه، وحمل الناس على الصلاة جماعة في التراويح في رمضان ابتداء من سنة أربعة عشرة للهجرة، وجعل قارئا إماما يصلي بالرجال وآخر يصلي بالنساء، كما أثبته ابن سعد في طبقاته والطبري في تاريخه، وغير اسم الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم باسم أمير المومنين ليصبح اسما لرئاسة الدولة في المجتمع الإسلامي إلى اليوم وهو ما تحافظ عليه المؤسسة الملكية بالمملكة المغربية إلى اليوم في دساتيرها، وفي أنظمتها الإدارية.

وقد رأينا في حديث سابق أنه رضي الله عنه أول من فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية والإدارية وعين قضاة مختصين في مهامهم بعدد من الجهات والأقاليم، ليتفرغوا للعدل والقضاء والدفاع عن صفوف المظلومين.

وقد ثبت أنه وهو أمير المومنين اختلف مع شخص على ملكية أرض فرضي بالمثول أمام القاضي ليفصل في الأمر.

فهذا شعبة قال: سمعت الشعبي يقول "كان بين عمروأُبَي خصومة، فجعلا بينهما زيد بن ثابت ليقضي فيها . فأتياه، وقال له عمر في بيته يوتى الحكم، جئناك لتقضي بيننا، قال الراوي، فتنحا له زيد . القاضي . عن صدر فراشه، وقال له: هاهنا ياأمير المومنين، فقال له عمر مخاطبا في نفس اللحظة: جرت يازيد في أول قضائك، ولكن أجلسني مع خصمي، فجلسا بين يديه، فادعى أبي ولم يدل بحجة، وأنكر عمر، فقال زيد لأبي: اعف أمير المؤمنين من اليمين، فرفض عمر هذا الإعفاء إعمالا لقاعدة البينة على المدعي واليمين على من أنكر، وحلف عمر أمير المومنين في مجلس القضاء قائلا: "والله الذي لاإلاه إلا هو ما لأبي في أرضي هذه حق" هكذا نفذ الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوامر الشرع عند الخصومة وكان النموذج الأسمى لممارسة السلطة وللتوجيه الديني في ميدان العدل والعدالة في الإسلام، وإلى العدد المقبل إن شاء الله.

الوثاق

# وجه فضل القرآن على الأحاديث القدسية

## للعلامة العربي بن احمد بردلة رحمه الله

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

**الحمد لله:**

**سيدي رضي الله عنكم، جوابكم عن وجه افضلية القرآن على الأحاديث القدسية، مع أن القرآن يوحي إليه(ﷺ) بواسطة جبريل عليه السلام، والأحاديث القدسية يتلقاها من الله من غير واسطة، وأيضا ما الحكمة في الواسطة؟ اليست للنبي(ﷺ) قوة على تلقيه القرآن من الله تعالى من غير واسطة، فإن قلنا إن ذاته(ﷺ) بشرية قلنا فروحانية نورانية، ولا ثم روحانية اعظم من روحانيته(ﷺ)، ولأنه تلقى الأحاديث القدسية من غير واسطة فما حكم الواسطة في القرآن؟ جوابا شافيا والسلام.**

■ الحمد لله: حاصل السؤال أعلاه أمران، أحدهما ما وجه أفضلية القرآن العربي على الأحاديث القدسية الخ.

الثاني حكمة الواسطة في القرآن مع أن النبي(ﷺ) روحانية نورانية الخ، والجواب عن الأمر الأول من جهات، منها أنه معجز مظهر لعجز العرب الفصحاء البلغاء عن معارضته بعد أن قيل تعريضا بهم. "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن" الآية، قل فاتوا بعشر سور مثله، وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله، قالوا وبهذا الفعل وهو كونه معجزا امتاز عن الأحاديث القدسية.

❖❖❖❖❖

ثم وجه إعجازه أنه في طبقة البلاغة، ومن هذه الجهة تحقق أنه كلام الله، أي تحقق ذلك المصدق والمكذب والمعاند والمجاهد، أما المصدقون فلا إشكال، لأنهم لما أكرمهم الله بإطلاعهم على وجه الدلالة بهرهم والجأهم نور المعرفة إلى التصديق، وقهرهم فاطمأنوا مذعنين، ولما صدع به الحق معترفين، وأما المعاند والمكذب، فلفضيحتهم حين خوطبوا خطاب تعجيز بقوله تعالى: "قل فاتوا بسورة من مثله"، قال السيد في حاشيته على الكشاف ما نصه، فإن فاتوا أمر قصد به تعجيزهم، باعتبار الماتي به اهـ، أي قصد إظهار عجزهم وتبكيتهم فخرسوا وسكتوا، وذلك دليل عرف على غلبهم وإقامة الحجة عليهم.

❖❖❖❖❖

قال السعد في التلويح، اختصر القرآن بكونه معجزا منزلا على الرسول، مكتوبا في المصاحف منقولا بالتواتر، وقال السعد في شرح المقاصد المشهور في كلام الأصحاب، أن ليس إطلاق كلام الله تعالى على أنه دال على كلامه القديم، حتى لو كان مخترع هذه الألفاظ غير الله لكان هذا الإطلاق بحاله، لكن المرضى عندنا أن له اختصاصا آخر بالله، وهو أنه اخترعه، بأن أوجد أولا الاشكال في اللوح المحفوظ لقوله "بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ"، أو الأصوات في لسان نزل لقوله: "نزل به الروح الأمين على قلبك" والمنزل على القلب هو المعنى دون اللفظ.

❖❖❖❖❖

ومنها أن من أوجه التعظيم التي اختص بها القرآن المجيد كونه متعبدا بتلاوته دائما، ومنها كونه ناسخا لما تقدمه من الكتب السماوية، ومنها وصف مولانا تعالى بأنه هدى للمتقين، وبأنه شفاء ورحمة للمومنين، ولأنه تبيان لكل شيء، وقوله تعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم".

وهذا الفصل واسع المجال يحير المقال، يحار فيه الوصف، ويقف ويصمد متوجها لا ينحرف، متمثلا على لسان الحقيقة بما سلف لذلك الحبر اللبيب لسان الدين ابن الخطيب:

فإن وفيت بحق المدح فهو جني
غرس بانعمك السح الغمام سقى
وإن عجزت فعن عي منيت به
من رام عد الحصا والرمل لم يطق

وهذا وإن كان يناسبه الختام لكنه هنا أشد ملايمة والتئام ومنها أن الصلاة التي هي عماد الدين لا تصح ويعتد بها إلا بتلاوة القرآن فيها، فإذا خلت من القراءة بطلت، ومنها أنه أصل الشرع الذي وضعه الله تعالى لعباده، لأن الشرع الكريم حدوه بأنه وضع إلاهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات

❖❖❖❖❖

قال الشهاب العبادي، احترز بقوله الاهي من الأوضاع البشرية كالرسوم السياسية والتدبيرات المعاشية، وقوله سائق لذوي الألباب احتراز عن الأوضاع الطبيعية التي تهتدي بها الحيونات إلى ما هو خير لهم بالذات عن نحو صناعتي والفلاحة، فإنهما تعلقتا بالموضع الإلهي أعني تأثير الأجسام العلوية والسفلية، وكانتا سباقتين لذوي الألباب باختيارهم المحمود إلى صنف من الخيرات فليستاتوديانهم إلى الخير المطلق الذاتي، أعني ما يكون خيرا بالقياس إلى كل شيء وهو السعادة الأبدية والقرب إلى خالق البرية اهـ.

❖❖❖❖❖

فالأحكام الشرعية ما تعبدنا بها أصلا وفرعا أصله الكتاب العزيز، قال تعالى لنبيه: وأنزلنا إليك الكتاب لتبين للناس ما نزل إليهم، فأصل الأدلة الشرعية وإن تعددت هو الكتاب، واسها الدائرة عليه وإن تنوعت هو القرآن.

❖❖❖❖❖

وعن الأمر الثاني من جهات أيضا منها ان الواسطة هي الأمر المألوف المعروف لمن تقدم من الأنبياء والرسل والعادة لها حكم عند الخلائق المرسل إليهم بخلاف العادة يشوش عليهم، والعادة تونسهم وتقرب إذعانهم، وقد حصل التأنيس البالغ لكل موفق سمع ورقة بن نوفل هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، فالعرب إذا سمعت أن الواسطة الذي كان ينزل على موسى عليه السلام الذي تفتخر به العجم نزل واسطة على نبي العرب اطمأنت قلوب العرب الذين هم المقصودون بنصرة هذا الدين ولذلك قال مولانا جل وعز في كتابه: تعريفا بهم "ولا تكونوا أول كافر به"، فليس المراد من الأية الكريمة ظارها بل التعريض بأنهم احقاء بأن يكونوا أول مصدق وأول مبادر متبع، فإذا تيقنوا أن جبريل عليه السلام المعروف بالوصي لمن قبله(ﷺ) أنزل الله عليه اطمأنت القلوب وأنست، ووضح الأمر، فصدق من صدق اتباعا للحق وعاند من عاند حسدا وبغضا، إذ قد روى عن كثير حتى عن أبي جهل أنهم قالوا والله ما تكذب محمدا أي وأنفوا عن الإذعان لقوله.

❖❖❖❖❖

ومنها أن الخلائق مغلوبون للحسن وذلك أن مدركات النفوس نوعان ضروريات ونظريات، فالضروريات لا يستقل العقل منها إلا بالبديهيات وماعداها من الضروريات يستعين العقل في إدراكها بمشاهدة أو تجربة ونحوها، وهي من الحسيات والنظريات إنما تحصل بالفكر والفكر إنما يكون فيما هو خزانة الخيال مما يتأدى لها طرق الحواس أو من الوهميات وهي المعاني الجزئية المشرعة من المحسوسات فالنفس تالف إليها وتانس لما يكون من قبلها بخلاف الغيب المحضر.

ومنها القرائن التي تحف بالواسطة من انه يأتيه أحيانا كصلصلة الجرس، قال(ﷺ) وهو اشده علي، وما كان يشاهد من أن جبينه يتفصد عرقا، ومن غطيطه كغطيط البكر، ومن التزمل والتدثر، وغير ذلك مما كان يقوي إيمان المشاهدين لها، وإيمان من تصله من طرق صحيحة.

❖❖❖❖❖

ومنها مشاهدة ما كان يعانيه(ﷺ) عند تلبث الوحي، وتأخر نزول الواسطة به، لا سيما في الأمور المهمة، كقصة الثلاثة الذين خلفوا نحو خمسين يوما، وقضية الإفك نحو الشهر، ونزول الواسطة ينتظر، فلما نزلت الواسطة في النفوس، لأنه مرسل من قبل الملك الحق رب الأرباب مولانا جل وعز، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها، ما كنت احسب أن ينزل في شأني وحي يتلى، لشاني في نفسي أهون من ذلك، وإنما كنت أرجو أن يرى النبي رايا يبرئني الله فيها.

❖❖❖❖❖

ولذلك أيضا لما أخبر عروة عمر بن عبد العزيز عند تأخيره للصلاة ان جبريل نزل فصلى برسول الله(ﷺ) أي الصلوات فقال عمر: اعلم ما تحدث به يا عروة أو أن جبريل هو أقام لرسول الله(ﷺ) وقت الصلاة قال عروة كذلك كان بشر بن أبي مسعود الأنصاري يحدث عن أبيه، فلما روى عروة أمر الواسطة وانه نزل وصلى بالنبي(ﷺ) الصلوات الخمس، استعظم ذلك عمر بن عبد العزيز وأخذ يستثيب عروة وذلك واضح في استعظام أمر تلك الواسطة وزيادتها للطمأنينة وزيادة الإيمان.

❖❖❖❖❖

ومنها أن تكرير نزول الواسطة صير الوحي عن الله تعالى من جملة المألوفات الضروريات، وأكمل الله تعالى لنا ذلك بأن بعث جبريل عليه السلام في صورة رجل شاهده كل من حضر يعلم الناس دينهم، ولما طلبوه بعد خروجه فقدوه، قال النبي(ﷺ) هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم.

فهي يقين بعد المشاهدة لمن حضر، وريب في أمر الوحي، ومن نقل إليه ذلك على وجه الصحة فهو في الحقيقة كالحاضر لذلك، فالحاضرون ومن بلغهم يزدادون تصديقا ووضوحا لأمر الدين قطعا.

❖❖❖❖❖

ومنها ما في تلك الواسطة من الترفيع لقدر النبي(ﷺ) عند سائر الخلائق إذ أقسم سبحانه في حق هذه الواسطة "إنه لقول رسول كريم" الآية ردا لقولهم إنما يعلمه بشر، "افترى على الله كذبا أم به جنة".

ثم المعروف في العادة أن الواسطة بين الخلفاء وأمرائهم إنما يكون دون الأمير المبعوث إليه، وهذا أمر شهير حتى قال بعض الشعراء.

عرف المصطفى الذي قال عذار
حين كلف مدح بعض نبيه
ما عسى الوصف والمدائح فيمن
كان جبريل خادما لأبيه

ومنها أن جبريل عليه السلام كان ينزل لمدارسته(ﷺ) القرآن في رمضان من كل سنة، وفي تلك المدارسة تنويه عظيم بأمر القرآن وتنبيه بالغ بأحقيتنا بمدارسته والمحافظة على لفظه.

❖❖❖❖❖

وفيها تعريف لكيفية أخذه، وهي المدارسة وتكرير التلاوة والمشافهة بها للحاملين له، وتعريف لنا بأنه أصل الدين وانه المتتبع والمقلد، والمرجوع إليه في كل حكم وفي كل قضية، وإن لم يقتد بما تضمنه ولم يأتم بمنطوقه ومفهومه لا يعبأ به ولا يلتفت إليه، وقد ظل عن السبيل وخسر الدنيا والآخرة والله أعلم.

❖❖❖❖❖

وكتب أسير ذنبه العربي بن أحمد بردلة كان الله له وغفر ذنوبه وتاب عليه آمين اهـ، من خطه رضي الله عنه ونفعنا به.

في ظلال الحديث :

# الحديث رقم :102:أرحم الخلق بالخلق

نص الحديث: 3/3

**عن أبي صالح قال: كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يناديهم: " يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة " رواه الدارمي.**

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نواصل . أيها الإخوة القراء الكرام. حديثنا عن هذا الخلق العظيم، خلق الرحمة، خلق نبي الرحمة، وصور تجلياته عند السلف الصالح، ولا أعتبر هذا خروجا عن صلب الموضوع، إذ من المفروض أن نكتفي بالحديث عن خلق المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه ، لكن ومن باب استكمال الصورة، واستحضار مزيد من الأدلة، . وإن كان النموذج كافيا . أن نستحضر هذه الصور المشرقة والنماذج البشرية الرائعة، للبيان والتوضيح على أن السلف الصالح وهم يدعون إلى الله عز وجل كانوا يتمثلون ويجسدون هذا الخق، لأنه الأساس والجوهر...

**11. مجالات الرحمة وصورها عند السلف الصالح:**

تتمثل مجالات وصور الرحمة بالخلق عند السلف الصالح في جوانب كثيرة منها:

**1. الأول:** الرحمة بالفقراء والمساكين وأهل الحاجة وقضاء حوائج الناس، ولهم في ذلك أسوة في نبيهم (ﷺ) الذي كان يعطف على الأرملة والمسكين، وكان قبل النبوة والرسالة يطعم الطعام، ويحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويعين على نوائب الحق، كما وصفته بذلك من هي من أعلم الناس به زوجه خديجة رضي الله عنها، فكيف يكون الأمر بعد النبوة وبعد الرسالة؟

إذا ينبغي أن يشعر أهل الحاجات ومن ضاقت بهم السبل أن العلماء والدعاة إلى الله عز وجل هم أقرب الناس إليهم، يمسحون دمعة المسكين، ويحفظون كرامة الأرملة، ويقضون حاجة اليتيم، ويسدون خلة المحتاج ويحسنون إلى من يحتاج أن يحسن إليه.

الثاني: الحرص على هداية الناس وإصلاحهم، وهذا من أعظم مجالات الرحمة وأجلها، فإن كان أحدهم يسعى إلى أن ينقذ فقيرا من جوعه ومسغبة، أو ينقذ يتيما من بؤس اليتم، فإنه أولى أن ينقذه من نار وقودها الناس والحجارة، وأولى أن ينقذه من نار ومن عذاب تنسيه غمسة واحدة فيه كل نعيم الدنيا، وأن يدله على جنة عرضها السماوات والأرض، جنة ينسى حين يدخلها ويغمس فيها غمسة واحدة كل شقاء الدنيا وبؤسها، وليس العمل الخيري بالمعنى الذي يقصده بعض قصيري النظر، ومحدودي الفكر، يتجلى في إشباع البطون الجائعة وكسوة الأجسام العارية.. وكفى.. إن العمل الخيري يجمع بين إشباع البطون وإيقاظ الهمم وتنوير الأذهان وهداية النفوس...

ولهذا يخبر الله عز وجل عنه أنه أرسل النبي (ﷺ) رحمة للعالمين، وأعظم رحمة للناس أن أنقذهم الله به من الضلال ومن الشرك والكفر به سبحانه وتعالى، وأنقذهم من نار تلظى وقودها الناس والحجارة . حمانا الله وإياكم منها ووالدينا وجميع المسلمين .. لهذا كان هو الرحمة المهداة، وكانت حاله كما قال عن نفسه (ﷺ): "وأنا آخذ بحجزكم عن النار" ويشبه نفسه برجل أوقد نارا فجعل الفراش يتهافت فيها، وهو يذبها عنها، ويأخذ بحجز أمته عن النار.

الثالث: الرفق بهم في من ولاه الله مسؤولية أو أمرا من أمور المسلمين، فكل من ولاه الله أمانة أو مسؤولية، من أب أو زوج أو أستاذ أو مدير أو مسؤول صغيرا أو كبيرا، عونا أو وزيرا، فينبغي له أن يرفق بالمسلمين ويرحمهم.

ومن رفق الراعي برعيته أن يرفق بهم في نصحهم وفي تصحيح أخطائهم، ولهذا كان كما وصفه معاوية بن الحكم السلمي قال بينا أنا أصلي مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم فقلت واثكل أمياه ماشأنكم تنظرون إلي. فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله . صلى الله عليه وسلم . فبأبي هو وأمي مارأيت معلما قبله ولابعده أحسن تعليما منه فوالله مانهرني ولاضربني ولاشتمني قال "إن هذه الصلاة لايصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن"...رواه مسلم.

وحين جاء الأعرابي وبال في طائفة المسجد وانتهره الناس، أدركه بقلبه الرحيم وأعلمه بحق وواجب هذه الأماكن وصيانتها، فقال هذا الرجل: اللهم ارحمني وارحم محمدا، ولاترحم معنا أحد، وذلك انه راى وعرف الرحمة في قلب النبي وهذا يفسر لنا قوله: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".

إذا فمن رحمة العلماء العاملين والدعاة المخلصين بالخلق أن يرفقوا بمن يقع في الخطا ويقع في المنكر، خاصة الذي يقع فيه عن جهل ولم يجد من يذكره ويعلمه، فينبغي أن نحسن إليه، وأن نرفق به، وأن ندعوه بعملنا وسلوكنا ورحمتنا قبل أن ندعوه بقولنا وإنكارنا، فيرى في سلوكنا مما يشعره بصدق مقالتنا ودعوتنا، ويدعوه إلى أن يستجيب لما نرجوه ونطلبه منه.

الرابع: أن لايسعى الإنسان إلى الحكم على الناس ويكون هذا همه. إن البعض من الناس يؤتى من غيرته وحرصه على حماية العقيدة فيتصور أنه بقدر ما يخرج الناس من العقيدة ومن دائرة أهل السنة والتوحيد يكون أكثر غيرة على عقيدة أهل السنة وأكثر حماية لها، ويتوهم بعضهم أن الذين تطول قائمة من يجر حونهم ويخرجونهم من دائرة أهل السنة هم أكثر الناس غيرة على منهج أهل السنة، وأنهم أصدق الناس توحيدا، فهم أولئك الذين لم ينج منهم أحد، ولن يستطيع أحد أن يفلتهم. بل إنك لتجد منهم من تجده يوسع دائرة الكفر، بتكفير أهل القبلة، وإن صلوا وصاموا، بحجة من لم يكفر الكافر فهو كافر، وإنه بهذا الأمر يغفل دوره الرئيس وهو هداية الخلق، ورحم الأستاذ الهضيبي حين ألف كتابه القيم، عنوانا ومضمونا، "دعاة لاقضاة".

إن همك أيها الداعية إلى الله هو توحيد الخالق، ورحمة المخلوق، دورك هو تحبيب الله إلى عباده، وتحبيب العباد إلى الله، فإن ساد هذا الخلق الفكري عمت الرحمة، وساد الأمن والاطمئنان.

وقد يحاجج بقوله إني تتبعت أثره، فوجدته يفعل كذا وكذا... ألا فليعلم أنه قد وقع في خطإ كبير، بل لقد أغضب نبي الرحمة... الذي يقول لأصحابه: "ما أحب أن يبلغني أحد عن أحد شيئا"؟.

إن الأمر عظيم، تأملوا معي رحمكم الله حين قتل أسامة رضي الله عنه رجلا قال لاإله إلا الله . والموقف يوحي ويشعر لكل من يقرأه أن هذا الرجل كما قال أسامة . هذا رجل يقتل المسلمين فما ترك أحدا إلا قتله، فحين أدركه أسامة . رضي الله عنه . ورفع عليه السيف قال: أشهد أن لا إله إلا الله. أي إنسان يسمع هذه القصة شيظن كما ظن أسامة . رضي الله عنه . أن هذا الرجل إنما قال هذه الكلمة فرارا وتعوذا من القتل، وإلا أين تصديقه بهذه الشهادة وأين إقراره بها قبل ذلك؟ ومع ذلك لما أنكر عليه النبي (ﷺ) قال أسامة إنما قالها فرارا من القتل قال له: "أفلا شققت عن قلبه"؟

إن هذا الخطاب ليس لأسامة وحده رضي الله عنه، بل الخطاب للأمة أجمع، فما كلفنا بالتفتيش عن قلوب الناس.

هذا إنسان يشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله، بل يقول لك أنا على عقيدة التوحيد، وأنا على هذا المنهج ومن اتباعه، وتقول له: لا إنك لست على ذلك، وتنكر عليه ادعاءة وتذهب تفتش عما يقول وتبحث عن كلمة تحتمل تأويلا حتى تخرجه من هذه الدائرة! هل مقتضى الغيرة على عقيدة أهل السنة يقتضي منا هذا المسلك؟ أم يقتضي منا أن نأخذ الناس على ظاهرهم، فمن أظهر خيرا وصدقا ونصيحة واتباعا للسنة قبلنا منه وحسابه على الله عز وجل، ومن أظهر خلاف ذلك عاملناه بما يظهر منه.

أما أن يكون الأصل عندنا أن نشك في عقائد الناس حتى يثبت خلاف ذلك، فليس هذا من الغيرة على عقيدة أهل السنة، ولا على عقيدة التوحيد، وليس من النصرة لمنهجك أن تسعى إلى إخراج الناس منه، وإبعادهم عنه وإنها والله لطامة كبرى وقع فيها عدد من أبناء هذه الأمة بحجة الغيرة على العقيدة والسنة... لكن السؤال المطروح هو كيف نتعامل معهم... كيف نطبق هذا الخلق العظيم لإنقاذ هؤلاء المغرر بهم، والذين وقعوا من حيث لايدرون في عقيدة الزواج... كيف يجب أن نتعامل معهم لنبين لهم الحقيقة، كيف يمكننا . نحن الدعاة إلى الله . أن نحد من هذه الظاهرة الفتاكة، هذه الظاهرة التي التهمت قوة شبابنا...

**12. كيف نتعامل مع المخالف؟**

لاشك أن الرحمة بالناس والخلق لايمكن أن تدعونا إلى أن نتستر على الأخطاء والأمور الظاهرة، وقد شرع الله لنا التعامل مع مايظهر من الناس ويبدو منهم، وسرائرهم إلى الله سبحانه وتعالى.

والمخالفون أصناف منهم:

المجتهد المخطئ: فقد يجتهد الإنسان ويبذل وسعه في تحري الحق والبحث عن الدليل ثم يقع في خطأ، فيتأول نصا من كتاب الله أو سنة النبي (ﷺ) على خلاف تأويله، أو تبدو له شبهة أو عارض من العوارض فيصل إلى نتيجة خاطئة، فهذا قد قال عنه: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد".

والمجتهد الذي بذل وسعه معذور سواء في الأمور العملية أو الأمور الخبرية، وغالب هؤلاء إنما يقع خطؤه في أمور ليست معلومة من الدين بالضرورة، وقد يكون له من الخير والفضل والحسنات مايمحو ذلك، والماء إذا بلغ قلتين لن يحمل الخبث.

ومنهم الجاهل المعذور: الذي قلد من وثق في عمله وورعه ودينه أو وقع في أمر عن حسن نية.

ومنهم متعد ظالم ومبتدع آثم، هؤلاء هم الذين نخاف أن يتجاوزهم ضررهم إلى غيرهم.. فالمخالفون والمخطئون لنا ليسوا طائفة واحدة، وليسوا على درجة واحدة، ولايجوز أن نحشرهم كلهم في واد واحد.

وقد تحدث ائمة أهل السنة والجماعة حديثا طويلا مستفيضا عن الموقف من هؤلاء والتعامل معهم، كل على حسب منزلته فمنهم من يعذر ويحسن إليه، ومنهم من يغلظ عليه، ومنهم من يهجر، ومنهم من يؤدب ويعزر.

## فوائد الحديث:

- سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة.
- وصف الله عز وجل لنبيه بالرحمة.
- رحمته صلى الله عليه وسلم بأهله، وعشيرته وصحبه، وبالمومنين والناس أجمعين.
- رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته جمعاء تتجاوز حدود عصره.
- رحمته بالأطفال.
- رحمته بالبهائم والدواب.
- أمره صلى الله عليه وسلم بالرحمة وحثه عليها.
- العلماء العاملون والدعاة الصادقون على منهجه وخلقه.
- مجالات الرحمة وصورها عند السلف الصالح.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

# صلة الرحم...

■ الحمد لله رب العالمين... الحمد لله الذي جعل للرحم اشتقاقا من واسع رحمته ومن اسميه الجليلين الرحمن الرحيم وعلقها بعرشه تقول على الدوام: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله. وأشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لاشريك له رحمن رحيم عفو غفور كريم بجزء قليل من رحمته الواسعة العامة الشاملة أنزله إلى هذه الدنيا يتراحم الناس والحيوان وجميع الخلائق، (وبرحمته هذه المغدقة منه فضلا ونعمة على خلقه جعل بين جميع الناس على وجه هذه البسيطة مؤمنهم وجاحدهم رحما عليهم أن يتساءلوا بها وعنها ويتقوا الله فيها فهم كما خلقهم الله من نفس واحدة ومنها خلق زوجها) وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خير خلق الله (وخير من نزل عليه وحي الله، وخير من طبق مانزل عليه من الله تقوى منه لله) وهو قدوتنا الطيبة وأسوتنا الحسنة في أن نبل أرحامنا ببلالها فنصل من وصلنا وحتى من قطعنا من أرحامنا استجابة لترغيب رسول الله عن أمر الله، فهو القائل وهو الصادق المصدوق: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها"البخاري... فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد هذا النبي الأمي الكريم والرسول العربي العظيم وعلى آله وصحبه ومن والاه واهتدى بهديه واستنار بنوره وعلى جميع عباد الله الصالحين إلى يوم الدين...

أيها المؤمنون البررة الكرام، يقول رب العزة جل وعلا في كتابه العزيز الحكيم: "فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم (محمد)"وقال جل من قائل أيضا: "والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار".

عباد الله البررة الكرام، من هذين الأيتين الكريمتين نستنتج بكل وضوح وبساطة أن الرحم بين جميع الناس مؤكدة وواجبة صلتها.. وأن هذه الرحم تتأكد ويزداد وجوب صلتها كلما كانت رابطة النسب والصهر أقرب فأقرب... وأن قطع هذه الرحم المؤكدة إفساد في الأرض.. وعلى هذا فإن قاطع الرحم سواء كانت هذه الرحم قريبة أو بعيدة، وعلى أي مستوى كانت اجتماعي أم فردي، فإنه مفسد في الأرض بعمومها .وهذا يؤكد ماذهبنا إليه من عموم الرحم بين الناس جميعهم ووجوب صلتها (على حسب درجات القرب أو البعد في النسب والصهر).(وكل مفسد في الأرض فهو أهل للعنة من الله أي الطرد من رحمة الله، فقد رضي لنفسه الصمم والعمى عن حقوق ذوي رحمه في بره وعطفه وصلته ورحمته...فطرده الله من رحمته وزاده عذابا وخزيا بأن أصمه فلا يسمع للحق نأمة ولاركزا، وأعمى بصره فهو مطموس البصيرة فلا يرى لنور الحق شعاعا).. إن صلة الرحم بين الناس عهد موثق بين الناس وربهم يوم أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا... وفي هذا العهد الوثيق تحملوا من ضمن ماتحملوا من الأمانة بكل اختيار ومسؤولية أن الله رب الجميع أبيض وأسود وأسمر وأصفر وأحمر وأستغفر الله عن هذا التصنيف الذي استعملته ولا أقره ولا أطيقه. فما اختلاف الألسنة والألوان إلا آية من آيات الله لنتفكر ونزداد إيمانا وتحابا بيننا ومودة ورحمة وصلة رحم.. وفي هذا العهد علموا بكل وعي بالسمع والبصر والفؤاد وكل الحس أنهم من صلب إنسان واحد هو آدم وزوج واحدة لهذا الإنسان هي حواء التي هي من نفسه جزء عزيز غال نفيس انبثق من ضلعه الأيسر أي من قلبه فهي قطعة من هذا القلب..وهذا العهد بذلك التحمل وهذا العلم يقتضي الوفاء كل الوفاء وما هذا الوفاء إلا أن يوصل الرحم بين كل الناس.. بإقرار السلام على أرض الله الطيبة وإفشائه بين كل الناس وعلى جميع الأصعدة والمستويات..وإطعام الطعام على جميع الأصعدة والمستويات.. فمن أسماء الله تعالى الحسنى السلام، وقد امر المؤمنين بأن يدخلوا في السلم كافة.. وهذا السلم يقتضي ألا يستخون إنسان إنسانا وألا يسيء به الظن أبدا وألا ينظر إليه ولو نظرة عابسة أو متوجسة شاكة..ألم يحض رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يلقى المؤمن أخاه بوجه طلق؟ ألم يحث الله تعالى رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام على أن يصفح ويقول سلام حتى لأعدائه ممن لايومنون؟ فسوف يعلمون يقينا أين الحق ومع من هو عاجلا أم آجلا؟.

قال الحسن البصري رحمه الله: أوحى الله تعالى إلى آدم أربع كلمات، وفي هذه الكلمات الأربع شبه تفصيل العهد الذي بين الله والناس أن يوفوا به ولاينقضوه. وقال جل وعلا عن هذه الكلمات الأربع: فيهن جماع الأمر لك ولولدك، واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين الخلق، فأما التي لي: فتعبدني لاتشرك بي شيئا، وأما التي لك: فعملك أجزيك به أفقر ماتكون إليه، وأما التي بيني وبينك: فعليك الدعاء وعلي الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس: فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك به...

هذا عهد الله وهذه بنوده البسيطة الواضحة... عهد الله لآدم وولده، فإذا أوفوا بما عاهدوا الله عليه فستطيب لهم الحياة في دنياهم وسيخلدون في النعيم المقيم في أخراهم...وإن خاسوا به فإن من يخيس بعهد الله سيعيش معيشة ضنكا ويحشره الله يوم القيامة أعمى حسا ومعنى (بعد أن كان مطموس البصيرة في دنياه)..ولنلق نظرة واعية متدبرة على البند الأخير الذي ينص على أن يصحب الإنسان إخوته في الإنسانية بما يحب أن يصحبوه به..

ولابد في بداية هذه النظرة الفاحصة المتدبرة من أن نبدأ بالتذكير بأن هذه الأخوة الإنسانية هي أخوة حقيقية تنتهي بالناس جميعا إلى أب واحد وأم واحدة.. وهذا يقتضي بنص القرآن الكريم، بل وبنصوص الوحي الكريم المنزل على جميع الأنبياء من لدن آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام أن بين الناس جميعهم رحما وشيجة تستوجب صلتها وعدم قطعها، وأن هذه الوشيجة الرحمية تزداد متانة وقوة وارتباطا كلما اقتربت بالدم أو بالتصاهر.. وأن صلة هذه الرحم مهما بعدت ومهما قربت ليست بمجرد المكافأة على الوصل والمعروف، بل بالمبادأة بكل الخير والمعروف... فالإنسان بجبلته التي فطر وجبل عليها يحب أن يحيا في وسط محب محبوب بناسه وأثاثه وكل مافيه من جامد ومتحرك.. وهو بطبعه يستجيب لهذه المودة السائدة فتزدهر مواهبه وتنتج كل خير ومعروف ومودة... وعلى هذا فالشك والتوجس والتباغض والتباعد والتقاطع ظروف غير طبيعية تنتج القحط والجفاف والتنازع والحرب والدمار... وهكذا نرى أن أي إنسان لايقبل من أي إنسان آخر إلا أن يوده ويتق به ويحسن إليه... وهذه الرغبة مركوزة في نفسه سواء أخفاها أو أعلن عنها في كل الظروف ولكل الأسباب.. فإذا كان الأمر كذلك أفلا يستوجب أيضا أن الناس الباقين ينتظرون منه المعاملة بالمثل.. وفي هذا المعنى لانجد دواء حاسما لما نراه حاليا سائدا بين الناس على الصعيدين الفردي والجماعي من شك وتوتر يؤديان إلى كثير من التقاطع والتدابر وإعداد العدة بالسلاح المدمر النفسي والمادي لبتر هذه الرحم كليا.. أقول لا أجد إلا ماوصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدواء عملي واقعي لهذا المرض السائد: جاءه رجل يشكو إليه ذوي رحمه وإساءتهم إليه، قال الرجل:يارسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فبماذا عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الواقع المر الأليم، وبماذا عالج نفس الرجل الشاكي المتألمة المجروحة لهذا العقوق والحجود؟ قال عليه الصلاة والسلام: لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل (الرماد الحار)، ولايزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك"..وما نطق رسول الله إلا بالحق والصدق وهو الذي لاينطق عن الهوى... فكل من يقطع رحمه ويرد واصله بأسوأ الرد لن يكون إلا إنسانا منكوس الفطرة معوج النفس مرذول الخلق... حياته هم في هم لأنه عمي عن أن يبصر أجمل ما فيها... وأرساها على أوهى مايمكن له عليه أن يرسيها، وهي أنانيته وأثرته، فيفسدها من حيث يظن يصلحها... فهو من المفسدين في الأرض يغوص إلى ذقنه في الويل ولعنة الله أعمى أصم، أبكم عن الخير والحق ووصل ما أمر الله به أن يوصل من رحم.وهو حقا يسف المل أي الرماد الحار.. لأنه قد يجمع ويكنز ولاينفق فيما يرضي الله وصلة الرحم القريبة والبعيدة فأمواله عليه حسرة اليوم وغدا.. وهو يأكل الطعام اللذيذ الطيب، ولكنه عليه كالمل يسفه، لأنه يأكله وهو يعلم أنه قاطع رحم أكال سحت... فكل لحمه الذي نبت من ذلك السحت في النار... لأنه منعه عن ذوي رحمه الأقارب والأباعد ولم يودهم منه بالقليل أو الكثير لأنه ذو نفس كزة مريضة شحيحة تأكل والرعب يحيطها من أقطارها فكأنها تسف الل..وإنسان كهذا بعيد عن الناس من ذوي رحمه البعيدة، بعيد عن أهله من ذوي رحمه القريبة..أليس هو أبعد عن الله الذي أمر وأمره الحق وهو الحق: "ياأيها الناس اتقو ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا".

فاللهم يامن خلق الرحم واشتق لها من اسميه الحسنيين "الرحمن الرحيم" اسمها، ومن رحمته الواسعة كل شيء أعطاها معناها، وعلقها بعرشه الأقدس لاتفتأ تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله، أعنا يارحمن يارحيم على وصلها، ولاتقطعنا بقطعها بل اهدنا إلى وصلها بمحض فضلك وكرمك ورحمتك. وأدم علينا نعمتك بدوام وصل أرحامنا ياأرحم الراحمين سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي قضى بأن تعرض عليه أعمال جميع بني آدم يوم كل خميس وليلة كل جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم أبدا (أحمد)وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والمهتدين بهديه إلى يوم الدين..

عباد الله! إن عقوبة قطع الرحم معجلة في الدنيا، وموخرة أنكى وأخزى في الأخرة، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع مايدخر له في الأخرة من البغي وقطيعة الرحم..

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال:« لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت يارسول الله أخبرني بفواضل الأعمال، فقال ياعقبة: صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك..الا ومن أراد أن يمد في عمره ويبسط في رزقه فليصل رحمه، فاللهم أكرمنا بأن نكون متقين مصلحين في الأرض تغمرنا رحمتك الواسعة تعمنا نعمتك بأبصارنا وأسماعنا وجميع قوانا ماأحييتنا اليوم وغدا... وذلك بأن تهدينا وتوفقنا لصلة أرحامنا قريبها وبعيدها.. اللهم اجعلنا بفضلك ممن يوفون بعهدك بصلتها. واحفظنا من عاجل عقوبتك ومدخرها الأخر بقطعها قريبها وبعيدها. واقبل أعمالنا الصالحة واغفر لنا الطالحة بوصلنا لها..وعجل لنا بثوابها وصلها في دنيانا اليوم وادخر لنا المزيد عندك.. اللهم أبعد عنا كل قاطع رحم لأن رحمتك قضيت بألا تنزل على قوم بينهم قاطع رحم كما قضيت بأن ملائكتك لاتنزل على قوم بينهم قاطع رحم...اللهم لاتجعلنا منهم ولا معهم اليوم وغدا...

# علم التوقيت : وحساب مواقيت الصلاة

الحلقة الاولى

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

■ علم التوقيت في جانب حساب مواقيت الصلاة ينشطر إلى شطرين أو إلى جانبين :

1 . جانب علم التوقيت الفقهي.

2 . وجانب علم التوقيت الحسابي العملي.

إذا هناك شطران متكاملان مترابطان لا ينفصل أحدهما عن الآخر.

. أما في خصوص الجانب الفقهي . فهو ما يقرره الشرع الحنيف من النصوص المذهبية في تحديد هذه الأوقات بناء على ما يوجبه الشرع الحنيف من الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، ففي أي كتاب من كتب الفروع في أي مذهب من المذاهب تجد بابا يتطرق فيه المؤلف إلى الوقت المختار للصلاة، فيعرض ما هناك من الأحكام في جميع أوقات الصلاة وتبيان حدود الوقت الضروري والاختياري، ومتى يبتدئ وينتهي كل منهما، وما يعتري ذلك من أحكام الوضوء المرتبطة بضيق الوقت، والإعادة للصلاة، وغير ذلك من الأحكام، كل هذا جانب فقهي وهو الأساس في هذا الفن.

. ثم يأتي بعد ذلك الجانب العملي : هذا الجانب هو تنفيذ لما يقرره الشرع من الأحكام الوقتية للصلاة، فهو يعالج ما يقرره الفقه وعلى ضوئه جميع الأعمال، فحرصا من سلفنا الصالح عن تأدية صلاتهم في وقتها الحقيقي، عملوا على وضع ضوابط وقواعد أسس للجانب العملي في تحديد مواقيت الصلاة، انطلاقا مما يقرره الشرع من أحكام، ومالوا إلى استخدام علم الفلك الزمني الرياضي التوقيتي، فدرسوا علم الهيئة وحددوا كثيرا من الدوائر في القبة السماوية ليؤسسوا على ذلك مثلثات كرية، حتى يسهل عليهم استخراج أي ضلع أرادوه من أضلاع المثلثات الكرية بشتى الطرق، فسلكوا طرقا شتى في استخراج المطالب الفلكية، منها ما هو تقريبي، ومنها ما هو متوسط، ومنها ما هو في غاية الدقة، فدرسوا أولا الحساب بجميع أنواعه، بما في ذلك الحساب العادي، من جمع وطرح، وضرب، وقسمة وتجذير، ثم درسوا النسبة الهندسية المنفصلة ذات الأعداد الأربعة، التي نسبة الأول منها للثاني كنسبة الثالث للرابع، وتمرنوا على كيفية استخراج المجهول منها إذا عرفت ثلاثة أعداد، ثم درسوا الحساب الستيني : اعتبارا لقسمة الدائرة إلى أربعة، فكان الربع يساوي 90 درجة وقسموا الجيب الكلي إلى 60 جزءا وكذلك جيب التملم، وقسموا القامة إلى 12 أصبعا، وسموا ذلك ظلا، وهو ينقسم إلى منكوس ومبسوط، وهذه الخطوط الأربعة المساحية وهو الجيب "SIN"، وجيب التمام "COS"، والظل "TAN"، وظل التمام " CO-TAN" وذلك لما كانوا يحتاجون إلى ضرب بعضها في بعض، فلجأوا إلى استعمال الحساب الستيني، وهو الأعداد المركبة : كضرب الدرج في الدقائق أو ضرب الدرج والدقائق في الدرج والدقائق، وقسمة ذلك وتجذير وتعديل ما بين السطرين، كانت معرفة كل ذلك من أعمال الحساب الستيني ضرورية لمتعاطي هذا الفن.

والوصايا، والتنزيل، والرد، وقسمة التركات، كل هذا جانب عملي في علم الفرائض، برز فيه العلماء وأسسوا له قواعده وضوابطه كما هو معروف في بابه، ولكل مقام مقال.

أما الجانب العملي في علم التوقيت فهو كذلك، وضعت له أسسه وضوابطه وقواعده.

ولتسهيل استخراج مطالب التوقيت اخترعوا آلات فلكية، منها ما تطرقنا له في الأعداد السابقة من هذه الجريدة، ومنها ما لم نتطرق له.

وهذه الآلات على اختلاف أنواعها، فهي إذا خطت بدقة يقارب الخطأ فيها نحو الدقيقة الواحدة المجانية، وهذا لايضر، ثم منهم من يسلك استخراج المطالب بالحساب والكسور هذا عمل شاق لما يعتري بعض الكسور من الأرقام الصمة في تبسيطها أي توحيد مخارجها، ومنهم من سلك طريق الحساب الستيني.

ووضعوا لذلك جدولا سموه بالنسبة الستينية فهو عبارة عن جدول به ستون طولا وعرضا، وكل خانة طولا تلتقي مع خانة عرضا في مربع مقطور به مرفوع ومنحط، وقد ألف سيدي محمد سبط المارديني كتابا سماه " رقائق الحقائق في حساب الدرج والدقائق " مخطوط، كما ألف ابراهيم التادلي الرياطي كتابا في هذا الموضوع، وألف الأستاذ مرينو الرياطي كتابا في حساب الدرج والدقائق مخطوط عندي نسخة منه.

كما ألف سيدي محمد بن ابراهيم العلمي كتابا آخر سماه "العلم المرفوع في حساب المنحط والمرفوع " مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس .

كل هذه المراجع تعالج حساب الأعداد المركبة، ولابد لمتعاطي هذا الفن من الاطلاع على هذا النوع من الحساب الستيني، ومنهم من سلك معرفة الأوقات بالأقدام نهارا وبالنجوم ليلا، حيث وضعوا أقدام الزوال لكل شهر على كل عرض وبه يعرف وقت الزوال، ثم تزاد على أقدام الزوال سبع أقدام لمعرفة وقت العصر.

كما أشار إلى ذلك صاحب المقنع :

قد وضعوا للظهر والعصر حروف
طزه جبا أبده حي للصوف

ويشير إلى توسط المنازل بمعرفة وقت المغرب والعشاء والفجر بقوله :

والحاء منها مغربا وسطا ويا
عشاؤنا السحور حي كاف ضيا

وهذا الوجه من معرفة الأوقات بالأقدام والمنازل غير دقيق ولكنه كان يستعمل منذ زمان بعيد للضرورة.

ومنهم من يستعمل حساب اللوغاريتمات، هذا النوع كان يعتبر من أدق أنواع أعمال استخراج مطالب التوقيت، وذلك أنه لما ظهرت هذه الجداول اللوغاريتمية اطلع عليها علماء الفلك المسلمون ودرسوها، وساروا يستعملون على نهجها استخراج مطالب التوقيت، وهذه الجداول تطبع في كتاب، به الجزء الأول ويحتوي على الأرقام الطبيعية من صفر إلى مالا نهاية وكل رقم بجانبه نسبته اللوغاريتمية، كما يحتوي الجزء الثاني على ربع الدائرة يساوي 90 درجة، كل درجة، كل درجة محلولة إلى 60 دقيقة، كل دقيقة تجد بجانبها اللوغاريتمات للجيب، وجيب التمام، والظل، وظل التمام، فصار الجمع يحل محل الضرب، والطرح يحل محل القسمة، والتنصيف يحل محل التجذير، وهذا تجده في الجزء الأول والثاني ، وبذلك سهل عليهم حل المعادلات في حساب المثلثات المستوية والكرية.

وقد ألف على هذه اللوغاريتمات كثير من علماء هذا الفن من بينهم الأستاذ سيدي محمد بن ابراهيم العلمي كتابه المسمى "حل العقدة عن مقاصد العمدة"، طبع على الحجر بفاس، والعمدة هذه، هي عبارة عن نظم من بحر الرجز تناول فيه المؤلف نظم القواعد الأساسية لهذا الفن، ويبدو انه كان نظم أرجوزة قبل هذه العمدة ولكنه اختصرها وسمى اختصاره هذا بالعمدة.

ونجده يلمح إلى ذلك في مقدمتها بقوله:

فهاك فيه جملا مفيده
من نظمنا ذي الأوجه العديده

ولم يتيسر لنا الاطلاع على هذا النظم المختصر منه.

وللسيد محمد بن إبراهيم العلمي المذكور كتاب صغير في مبادئ علم حساب اللوغاريتمات، يتعاطاه المبتدئ لهذا النوع من الحساب سماه "مرقاص الحساب في عمل التوقيت بالأنساب" طبع على الحجر بفاس.

وهناك مؤلف آخر لسيدي محمد بن علي الأغزاوي على أعمال اللوغاريتمات سماه (المستطاب في استخراج مطالب الوقت بالأنساب) مخطوط عندي نسختان منه، وللطاهر الحمري مؤلف على اللوغاريتمات في استخراج المطالب التوقيتية مخطوط.

لكن عندي ملاحظة هامة على المنهجية التعليمية التي اتبعها شيخ شيوخنا سيدي محمد بن إبراهيم العلمي في كتابه "حل العقدة عن مقاصد العمدة"، ذاك أنه تطرق في أول الكتاب إلى الحساب الستيني وأدرجه في حساب اللوغاريتمات وذلك عند معرفة الجيب من القوس، والقوس من الجيب، كما تعرض إلى قسمة القامة إلى 12 جزءا المسمى كل قسم منها بالأصبع، فأجزاء القامة تسمى أصابع، وكل أصبع مجزء بـ 60 ق، والدقيقة بـ 60 ثانية وهكذا، وصار يتطرق إلى معرفة الظل من القوس، والقوس من الظل بالأصابع، كما كان معروفا عند أرباب هذا الفن.

وهذا المنهج جعل دراسة علم التوقيت في غاية التعقيد والصعوبة، ولا أدري كيف فاته -رحمه الله- أن يترك الحساب الستيني في جميع أعمال اللوغاريتمات، لأن الجيب الكلي في اللوغاريتم يساوي 1 صحيح، وجميع الجيوب للقوس 90 درجة هي كلها كسورا عشارية، وكذلك القامة تساوي 1 صحيح إلى 45! درجة ثم تزيد إلى ما لا نهاية.

حقيقة - أن الأستاذ العلمي أثقل كاهل حساب اللوغاريتمات بالحساب الستيني، أي يجعل الجيب الكلي يساوي 60 جزءا، والجزء مقسوم إلى 60 جزءا يسمى بالدقيقة وهكذا، كذلك عرقل عمل اللوغاريتمات باعتبار تقسيم القامة إلى اثني عشر أصبعا، مع أنه كان في غنى عن الستيني والأصابع تماما في حساب اللوغاريتمات.

ويبدو لي أن ما فعله -رحمه الله- لم يكن ذلك قصورا منه، فهو راسخ القدم في هذا الفن بلا منازع، ولو شاء لفعل، ولكنه ربما تأثر بالتعليم السائد منذ القدم بالحساب الستيني وأصابع القامة، فجاءت عمدته هذه رغم ما احتوت عليه من نفائس هذا العلم متعثرة بالحساب الستيني وأصابع القامة، الشيء الذي جعل طالب علم التوقيت يجد صعوبة فيه، ومن ثمة هجره كثير من الطلبة وذلك لا لصعوبة العلم وإنما لسوء المنهج والتعليم.

وها أنا أعرض لك مثالا ارتكبه -رحمه الله- في الصفحة 90 من (حل العقدة). المطبعة الحجرية بفاس.

مثال ارتفاع العصر الأول لعرض فاس: 34 ؛ 6 والشمس في 30 من برج الحمل، فتكون غاية الارتفاع لذلك اليوم بالتقريب 67 ؛ 22، دخل المؤلف بهذا القوس في الجزء الثاني، فأخذ نسبته اللوغاريتمية للظل المبسوط فكانت: 9.6200762 ، ثم دخل بها في الجزء الأول فوجد محلولها: 0.4169، ضربها في 12 أصبعا التي هي القامة، فخرج له أصابع 5 صحيحة وكسر هكذا: 5.003 ، ثم زاد على ذلك قامة، وهي 12أصبعا، فيكون المجتمع 17.003 أصابع وكسر، ثم تدخل بهذا في الجزء الأول وتأخذ نسبته اللوغاريتمية فتجدها: 1.2304489

ثم تطرحها من أس القامة الذي هو: 1.0791812

فيكون الباقي: 9.8487323

خذ قوسه من النسبة الظلية للمنكوس من الجزء الثاني تكون: 35 ؛ 13. وهو ارتفاع العصر لليوم 30 من الحمل.

تلاحظ أن هذه العملية فيها تطويل ومشقة بدون فائدة، فلا داعي لجلب قامة الأصابع هنا إطلاقا، وعملية أخذ ارتفاع للعصر للمثال المذكور هذا - تأخذ محلول القامة المبسوط وهو: 0.4169 ، ثم زد عليه 1 لأن القامة مقدرة بواحد صحيح يساوي يكون المجموع 1.4169 ، ثم قوس ذلك تقويس الظلال: تجد: 35 ؛ 13 وهو ارتفاع العصر.

ولو سلك مسلكا آخر في هذا المثال لكان ذلك أفيد وأقرب للعمل.

# الأخلاق الإسلامية في المدارس العتيقة بالمغرب

■ إعداد الأستاذ: عبد العزيز محمد

## رابعا: مرتكزات الأخلاق الإسلامية

المقصود بالمرتكزات: الدعائم التي تنبني عليها الأخلاق في مجتمع من المجتمعات. فلا تكتمل النظرية الأخلاقية إلا إذا ارتكزت على دعائم، نذكر منها:

### المرتكز الأول:

الضمير الخلقي، أو الوازع الداخلي، أو السلطة المضمرة في الإنسان، والتي تراقب تصرفاته، وتحكم لها او عليها.

فهي مركز التوجيه، وإعطاء التعلميات، بالإقدام أو التأخير.

والضمير الخلقي يكتسب إما عن طريق التربية الذاتية (مجاهدة النفس وترويضها على الالتزام داخل الخط الأخضر) وإما بالتربية المكتسبة عن طريق المؤسسات المتخصصة.

والضمير الخلقي، أو الضمير الديني، أو الوازع الديني هو مايحتاجه الإنسان المعاصر الذي تحاصره المتطلبات المادية المتصاعدة، خصوصا عندما يكون مسؤولا في المؤسسات العمومية والخصوصية، يتصرف في ميزانيتها وماليتها إما بمسؤولية وإما حسب شهواته ومتطلبات زوجته وأولاده، دون اعتبار ما سيلحقه من فضائح ومحاكمات وزيارة المؤسسات الإصلاحية والعقلية.. ولو تدبر قول الله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد).

وقوله تعالى: (وما تكون في شأن، وما تتلو منه من قرآن، وما تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا اكبر إلا في كتاب مبين).

ولو علم أنه وإن اختلى بالغنيمة التي اختلسها، أو بالفاحشة التي ارتكبها، فإن الله مطلع عليه، وأنه سيفضحه على رؤوس الأشهاد في يوم من الأيام، وأن الله يمهل ولايهمل وذلك كفيل بأن يربي فيه هذا الوازع الديني، الذي هو الضامن لمراقبته وتوجيهه وترشيده.

فأساس الضمير الديني ودعامته هو الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى هو "الرقيب" وهو "الحسيب" وهو "القاضي والحاكم" وهو "القاهر لكل ظالم وغاشم"...

### المرتكز الثاني:

الالتزام التطوعي للتطبيق فلا قيمة للمبادئ الأخلاقية إذا بقيت حبرا على ورق، شعارات بدون تطبيقات، والعمل بمقتضاها عن طواعية وتلقائية ودوافع داخلية منبثق من يقظة الضمير، وشعلة الإيمان.

"فالحق الذي تعترف به وتنفذه لصاحبه دون أن يضطرك أحد إلى وسائل الإكراه هو أجمل الحقوق وأكرمها على الله وأخلقها بالفضيلة الإنسانية"

. فمن الناس من يقوم بذلك إحساسا منهم بالوازع الإيماني الباطني.

. ومنهم من يحتاج إلى أسلوب الترغيب والترهيب، لإيقاظ شعلة الإيمان فيهم.

. ومنهم من يتحكم إلى الرأي العام لتنفيذ التزاماته، فيخاف من الصحافة، ومن الإذاعة، وتهكم الشارع.. فيضطر إلى التخلص من الفضيحة بتنفيذ ماالتزم به أو ألزم به، وإلا تعرض للاحتقار والمهانة اينما حل وارتحل.

. ومنهم من يخضع لسيف السلطات ليلتزم بتنفيذ الأخلاق..

### المرتكز الثالث:

المسؤولية الخلقية، بمعنى: أن الحكم على فعل إنسان ، ومايترتب عنه من جزاء خلقي، يجب أن تتوفر فيه شروط المسؤولية الخلقية، ومن هذه الشروط:

1. الإرادة الحرة التي تميز الإنسان عن الحيوان.
2. العقل السليم، والوعي الكامل للتميز بين الأشياء.
3. القدرة البدنية والعقلية والنفسية التي تمكن الإنسان من القيام بالفعل المرغوب فيه.

وبتوفر هذه الشروط في الفاعل يترتب عن القيام الفعل، الجزاء الخلقي من ثواب أو عقاب.(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون).

## المؤسسات المنتجة للأخلاق الإسلامية:

إن الدافع والحافز الداخلي التطوعي الذي يجعل المسلم ينفذ ما التزم به تجاه نفسه والأخرين يشعر بأن الوازع الخلقي أو الضمير الديني، أو المراقبة الذاتية فيه فطرية وسجية تصدر عنه بسهولة ويسر.

وهذه الفطرة الأخلاقية تتعاون على نمائها عوامل:

. وراثية: تتمثل في الذكاء والمزاج والغرائز، ووعي الأسرة ودرجة تعلمها.

. مكتسبة: وتتمثل في التربية والتعليم والتوجيه والتدريب..

وهي . أي الأخلاق . وإن كانت فطرية، فإنها قابلة للتطور والنماء والتعديل والتحديث، فهي تتأثر بالزمان والمكان والبيئة والعادات..

وإذا كانت الخطوط العريضة لفلسفة الأخلاق ثابتة لا تتغير: مثل الشجاعة والعفة والكرم والعدل والوفاء بالعهد والرحمة والتسامح والصبر... فإن ما يتغير منها هو "درجة الاستجابة لها والتمسك بها".

وهذا التغيير هو الذي تتحكم فيه "التربية" عبر المؤسسات المنتجة لها.

فالتربية بيدها مفتاح التحويل من قبيح إلى حسن، ومنه إلى أحسن..

فكيف تعمل التربية على "توجيه" الأخلاق؟

فالتربية الأخلاقية نتاج المؤسسات التربوية.

ومن أهم هذه المؤسسات: الأسرة، وسائل الإعلام، المدرسة...

وسأكتفي بدور المدرسة معرضا عن الأسرة ووسائل الاتصال لفرصة أخرى بحول الله.

فالمدرسة: مؤسسة تربوية تقوم على:

1. البناية المدرسية.
2. المربي.
3. المناهج التربوية.

## الحلقة الثانية

### المدرسة:

لما أقول المدرسة، أعني بها "تلك المؤسسة التي يؤمها الطفل من أجل كسب مهارات علمية وتقنية وفنية بواسطة مربي له من الكفاءة العلمية والتربوية والسيكولوجية ما يجعله مؤهلا لاكتشاف عالم الطفل وقدراته ومهاراته وتوجيهها الوجهة التي ترتضيها أهداف التربية التي يحددها المجتمع. ولا تختلف المدرسة التقليدية (التعليم العتيق) عن المدرسة الحديثة (التعليم العصري) في بناء شخصية الطفل بناء يتلاءم ومتطلبات وحاجات المجتمع المدني. إلا أن المدرسة التقليدية كمؤسسة عمومية يساهم في إنشائها ودعمها المجتمع الإسلامي المكون للخلية الأولى للتجمع الإنساني الذي يكون الفرقة والقبيلة والجهة والقطر.

فأول ما يؤسس في الخلية التجمعية:

المسجد أو الجامع، وإلى جواره وبالقرب منه المدرسة القرآنية الشعبية والتي يطلق عليها أسماء تختلف باختلاف المناطق والبلدان:

فهي "المعمرة" في البادية المغربية

وهي "المسيد" في الحاضرة

وهي "الكتاب" في المصطلح العصري في المدينة

وهي "المحضر" في جنوب المغرب

وهي "الخلوة" في السودان

وتضم "المعمرة" جميع المرافق الضرورية كمحل للوضوء والغسل، والإنارة...

وجعل "المعمرة" حجرة للدراسة بمختلف أطوارها على شكل حجرة للتعلم المشترك بين مستويات متعددة، يمكن أن نستخلص منها العناصر الأخلاقية التي يستفيد منها الطفل كما يلي:

1. التربية على التعلق بالمسجد، وإثارته على باقي المؤسسات الأخرى في الدوار أو القرية.
2. جعله محور جميع الأنشطة الدينية والاجتماعية والثقافية والعلمية.
3. التدريب على التعايش والتضامن واحترام الأخر، والعمل الجماعي.
4. التعود على التقشف واستغلال ما هو موجود لتحقيق الأهداف الكبرى.
5. تعميق فلسفة المساواة بين الأفراد في العدل، والتعلم.
6. المجاهدة على إخضاع النفس وتذليلها ورياضاتها على مساكنة أبناء الطبقة الضعيفة والمتوسطة. وجعل الصالح العام فوق كل اعتبار.
7. جعل النظافة من أولويات أهداف هذه المدرسة.
8. المداومة على الصلاة في أوقاتها مع الفقيه الإمام.
9. احترام المعلم المربي وخدمته واتخاذه القدوة في الأخلاق والسلوك وتحقيق العدل.
10. تقديم المساعدة لمن هو أكبر سنا وعلما، وتجربة...
11. تقديس العائلة واحترام أفرادها الأقرب فالأقرب، والأكبر فالأكبر.
12. التخلي عن العادات والتقاليد الفاسدة المنقولة من البيت إلى المدرسة.
13. التحكم في ضبط النفس أثناء العملية التعليمية وتعويد المتعلمين عليها.
14. التغلب على المعوقات الطارئة وتجاوزها بالوسائل المتاحة.
15. تكريس مبدأ "العرف" الغير المتعارض مع الشريعة، ونمائه واحترامه والدفاع عنه.

### المعلم المربي:

وهو العنصر الأساسي في العملية التربوية في التعليم العتيق. إذ عليه المعول في تنفيذ البرامج التعليمية المتعارف عليها في المدرسة القرآنية، والتي هي:

1. تعليم القراءة والكتابة للصغار.
2. إملاء حصة القرآن الكريم لكل واحد من المتقدمين في الدراسة.
3. تصحيح الألواح، وتنبيه كل تلميذ للأخطاء التي يسقط فيها.
4. القراءة النموذجية (قراءة النفذة) مع كل واحد من التلاميذ.
5. سماع ما حفظ من "الماحية" والحصة الجديدة على اللوح، و"الحزب الجديد" والاسوار.
6. الاشراف على الطلبة المهاجرين (المخنشين) وتصحيح ألواحهم وتقديم النصح لهم.
7. بالإضافة إلى أنشطة موازية أخرى تتعلق بالدور الاجتماعي مع سكان القرية.

تقوم القرية باختيار الفقيه المعلم وفق شروط متعارف عليها، وتختلف باختلاف اهمية التعاقد الشفوية (المشارطة) المبرمة بين سكان القرية والمعني بالأمر..

فبالإضافة إلى الأجرة الشهرية أو السنوية التي يحصل عليها الفقيه من السكان، فإن هؤلاء يتكفلون بإطعامه بالتناوب يوميا بوجبتين أساسيتين الغذاء والعشاء، و"ضحية" عيد الأضحى، مقابل الإقامة المستمرة بالمسجد (يشبه القسم الداخلي)، ولايغادره إلا من مساء يوم الخميس إلى زوال يوم الجمعة، وأيام العطل (العواشر) المتعارف عليها.

يعيش الفقيه مع تلامذته ملازما لهم، مطلعا على أحوالهم الاجتماعية والأسرية. يتفقد من يغيب ويزور من يمرض منهم، ويقوم بحلق شعر رؤوسهم كلما دعت الضرورة لذلك، ويداوي بعض الأمراض الجلدية الظاهرة بطرق تقليدية، ويتوسط في إصلاح ذات البين، وهو المتقدم في الخطبة والزواج، والعقيقة، والموت، وموسم الحرث، والحصاد... بالإضافة إلى عمله الرئيسي كمربي ومعلم لأطفال القرية.